



الحملة الصليبية السادسة

انتفاضة يافا وتسليم بيت المقدس للصليبيين

استرداد بيت المقدس مرة ثانية على يد الملك الصالح أيوب





الحملة الصليبية السادسة

سنة ٦٢٥ هـ - ٦٢٦ هـ - ١٢٢٨ م - ١٢٢٩ م .

قادة الحملة : فريدريك الثاني .

سبب الحملة :

الكامل .. والتحرير في بيت المقدس

أرسل السلطان الكامل مبعوثه الأمير "فخر الدين يوسف" بهذا العرض إلى الإمبراطور فريدريك الثاني. فأحسن فريدريك استقباله في صقلية. وقد دعم هذا العرض السخي كما كان يعمل في نفس الإمبراطور من القيام بحملة صليبية إلى الشام، وقطع ترده في النهوض بهذه المهمة التي كان يستحثه البابا جريجوري التاسع على النهوض به: فغادر صقلية في (رجب ٦٢٥ هـ = حزيران ١٢٢٨ م) قاصداً بلاد الشام، ممعياً نفسه بيت المقدس، ويمجد يحقه يظل التاريخ الأوروبي يلهج بذلك .

وكانت تلك الحملة التي عرفت في تاريخ الحروب الصليبية بالحملة الصليبية السادسة من أعجب الحملات : فلم يتجاوز أفرادها ستائة فارس فقط ، وأسطول هزل ، وكان الإمبراطور فريدريك جاء إلى الشام لتفاوض لا ليحارب ، وأتى إلى الشرق في نزهة جميلة .

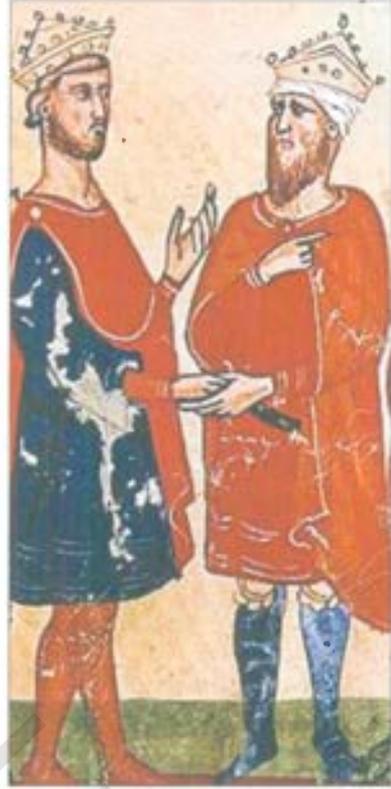
بعد فشل الحملة الصليبية الخامسة: تدهورت أحوال الصليبيين في المشرق فأخذ **البابا** يلح على الإمبراطور **فريدريك الثاني** لإعداد حملة صليبية جديدة تستعيد هبة الصليبيين والكنيسة الغربية فتعاس الإمبراطور لذلك مما أدى إلى إصدار قرار كنيسي بحرمان الإمبراطور من رحمة الكنيسة، فخشي الإمبراطور غضب البابا فخرج ملتباً طلبه مستغلاً الانشقاق داخل البيت الأيوبي والفرصة الذهبية التي أتته من العادل ١٩.

لقد كان لتضامن أبناء السلطان الأيوبي (العادل) الثلاثة: الكامل محمد، والمعظم عيسى، والأشرف موسى؛ أثره الواضح في تحقيق النصر في دمياط، وإفشال الحملة الصليبية الخامسة بقيادة "حنادي برين"، وكان المأمول أن يظل هذا التحالف قوياً، لكن ذلك لم يحدث، فانفرد العقد، وانكفأ كل واحد منهم حول ذاته، يعظم من شأن مصالحه ومكاسبه دون النظر إلى مصلحة أمتة؛ فشبّ صراع بين الكامل وأخيه السلطان المعظم عيسى صاحب دمشق .

واستعان كل واحد منهما بقوة خارجية لمؤازرته في مواجهة الآخر ، فاستنجد الملك المعظم؛ بالسلطان جلال الدين بن خوارزم شاه سلطان الوله الخوارزمية، في حين استعان السلطان الكامل بالإمبراطور فريدريك الثاني صاحب صقلية وإمبراطور الدولة الرومانية المقدسة في غربي أوروبا. وكان الثمن الذي أعلنه السلطان الكامل للإمبراطور فريدريك هو تسليمه بيت المقدس وجميع فتوح صلاح الدين بالساحل الشامي، وذلك مقابل مساعدته في حربه ضد أخيه المعظم ، وبإله من

سلاح المفاوضات الاستعطافي وتسليم بيت المقدس

ساء موقف الإمبراطور فريديريك الثاني من تغير الأوضاع، ولم يبق له سوى سلاح المفاوضات والاستعطاف، لتحقيق الهدف الغاي والأمل المشهود؛ فأرسل سفارة إلى السلطان الكامل تحمل له هدايا نفيسة، وتطلب منه الوفاء بما تعهد به للإمبراطور، وتسليم بيت المقدس له، وكان طبعاً أن يرفض السلطان الكامل هذا الطلب بعدما تبدلت الأحوال التي أوجت إلى القيام بهذا العرض، غير أن رفض السلطان زاد من صرار الإمبراطور على تكرار الطلب، والمبالغة في استمالة السلطان واستعطافه إلى حد التذلل والبكاء، وبلغ به الأمر إلى أنه كتب للسلطان الكامل في أثناء المفاوضات: "أنا مملوكك وعتيقك وليس لي عما تأمره خروج، وأت تعلم أنني أكبر ملوك البحر، وقد علم البابا والملوك باهتمامي وطلوعي، فإن رجعت خائباً انكسرت حرمتي بينهم!... فإن رأى السلطان أن ينعم عليّ بقبضة البلد والزيارة، فيكون صدقة منه، ويرتفع رسي بين ملوك البحر".



مرتسم أوروبي لفريديريك والكامل

أفلحت هذه السياسة وأثمرت استعطافات فريديريك في استمالة قلب السلطان الكامل، وكان رجلاً متسامحاً، ففرط فيما لا يملكه، ويتسامح

فيما لا يجوز التسامح فيه، ووافق على تسليم بيت المقدس دون أن يبذل الإمبراطور في الاستيلاء عليه قطرة دم، أو ضربة سيف، أو طعنة رمح، وإنما فاز ببيت المقدس بدمعة عين، وخداع نفس، وحقق ما عجز عن تحقيقه ريتشارد قلب الأسد بجيوشه الضخمة وإمكانياته الكبيرة.

واتفق الفريقان على عقد اتفاقية يافا في (٢٢ من ربيع الأول ٦٢٦هـ = ١٨ من فبراير ١٢٢٩م) انظر المستد.

- ١ - الصلح بين الطرفين لمدة عشر سنوات، على أن يأخذ الصليبيون بيت المقدس لحم والناصره وصيدا، وقسم من دائرة صيدا وطورون (تبنين حالياً).
- ٢ - أن تبقى مدينة القدس على ما هي عليه، فلا يُجدد سورها، وأن يظل السور بما يضمه من المسجد الأقصى وقبة الصخرة بأيدي المسلمين، وتقام فيه الشعائر، ولا يدخله الصليبيون إلا للزيارة فقط.

اتفاقية يافا



موقف المسلمين من اتفاقية يافا!

استنكر المسلمون المعاهدة الكاملية - الفردريكية (اتفاقية يافا) التي قضت بتسليم **القدس الشريف** إلى الصليبيين ومن مظاهر ذلك الاستنكار ما حدث **بدمشق** فقد بكى الناس فيها على ما جرى في بيت المقدس وزاد سخطهم على الملك؛ بسبب تحريض ابن أخيه الملك الناصر صاحبها، وبسبب دروس الحافظ **شمس الدين سبط بن الجوزي** مؤلف كتاب (مرآة الزمان عن فضائل بيت المقدس) فاجتمع في الجامع الأموي بدمشق عدد من الناس وعلت أصواتهم. واشتد بكأؤهم وأنشد الحافظ شمس الدين قصيدة بلغت أبياتها ثلاثمائة بيت منها :

على قبة المعراج والصخرة التي تفاخر ما في الأرض من صخرات
مدارس آيات خلت من تلاوة ومنزل وحي مفقر العرصات
هكذا استقبل المسلمون نبأ تسليم المدينة المقدسة بالأسى والحزن،
وعم السخط أرجاء العالم الإسلامي، ويصور المقريزي ما حل
بالمسلمين من ألم بقوله: "فاشتد البكاء وعظم الصراخ والعويل،
وحضر الأئمة والمؤذنون من القدس إلى مخيم الكامل، وأذّنوا على بابه
في غير وقت الأذان.. واشتد الإنكار على **الملك الكامل**، وكثرت
الشفاعات عليه في سائر الأقطار".

ولما أحس السلطان الكامل أنه تورط مع الإمبراطور الصليبي: أخذ
يهوّن من أمر تسليم بيت المقدس، ويعلن أنه لم يعط الصليبيين إلا
الكنائس والبيوت الخربة، على حين بقي المسجد الأقصى على حاله..
غير أن هذه المبررات لم تنطل على أحد من الناس.

وظل بيت المقدس أسيراً في أيدي الصليبيين يشكو إلى الله ظلم
الحكام وسوء تصرفهم، حتى نجح الخوارزميون في تحريره في (٢
من صفر ٦٤٢هـ = ١١ من يوليو ١٢٤٤م) .

في ١٠ مارس ١٢٢٨ م ، توّج
فريدريك الثاني نفسه بنفسه
في كنيسة القيامة، فقد رفض
رجال الدين تتويج الإمبراطور
المحروم من الكنيسة، وفرضت
البابوية منعاً لممارسة الطقوس
الدينية في القدس ، ودفع البابا
مواليه إلى ممتلكات فريدريك
في إيطاليا، فأسرع فريدريك
إلى المغادرة ونشب صراع مسلح
ضد لحبر الأعظم، والحق
الهزيمة بالبابا؛ وفي سنة
١٢٣٠ م، ألغى البابا الحظر عن
فريدريك وصادق في السنة
التالية على معاهداته مع
المسلمين.

لقد تعن الصليبيون من اغتصاب المدينة
المقدسة نحو تسع وتسعين سنة، منذ
اغتصابهم الأول لها حتى استردادها منهم
من قبل الخوارزمية وذلك في فترات
متقطعة على النحو التالي:

... - من عام ١٠٩٩ - عام ١١٨٧ أي ٨٨ سنة
وهي الفترة التي قامت فيها المملكة اللاتينية
والتي انتهت بتحرير القدس على يد صلاح
الدين الأيوبي .

... - من عام ١٢٢٩ - عام ١٢٣٩ أي ١٠
سنوات وهي مدة المعاهدة الفردريكية الكاملية
(اتفاقية يافا) .



استرداد بيت المقدس على يد الملك الصالح أيوب

بعد وفاة السلطان الكامل محمد سنة (٦٣٥هـ = ١٢٢٨م) تعرضت الدولة الأيوبية في مصر والشام لخطر الانقسام والفوضى، فاستولى الصالح نجم الدين أيوب على دمشق سنة (٦٣٦هـ = ١٢٢٩م). وكان هذا إيذاناً بدخوله في صراع مع أخيه السلطان العادل الصغير بن الكامل: الذي خلف أباه على حكم مصر والشام. واستعان كل منهما بأنصار من البيت الأيوبي للوقوف في وجه الآخر، وفي غمرة الصراع قمع عمهما الصالح إسماعيل على "دمشق" واستولى عليها، وطرد الصالح أيوب منها، الذي شاء له القدر أن يقع في قبضة الناصر داود صاحب الأردن والكرك، ثم لم يلبث أن أفرج عنه، واتفقاً معاً على القيام بحملة عسكرية على مصر والاستيلاء عليها من قبضة العادل الصغير.

ولاية الصالح أيوب:

كانت الظروف مهية تماماً لنجاح حملة الصالح أيوب: فكبار أمراء العادل الصغير مستاءون منه لاحتجابه عنهم، وانشغاله باللهو واللعب عن تدبير شؤون الدولة: فقبضوا على سلطانهم اللاهي، واستدعوا أخاه الصالح أيوب لتولي مقاليد البلاد والذي دخل القاهرة في (٢٥ ذي الحجة ٦٣٧هـ = ١٧ يوليو ١٢٣٨م) وجلس على عرشها، واستأثر بها دون الناصر داود.

ولم يرض هذا الموقف الصالح إسماعيل صاحب دمشق، واستشعر الخطر بعد أن نمى إليه أن الصالح أيوب أراد أن يرضي حليفه الناصر داود صاحب الكرك، فاتفق معه على أن يساعده في الحصول على دمشق من الصالح إسماعيل الذي لم يجد قوة تقف إلى جانبه، فسارع إلى التحالف مع الصليبيين ضد الصالح أيوب في مصر والناصر داود في الأردن، وكان ثمن هذا التحالف غالياً، تعهد فيه بأن يعيد بيت المقدس إلى الصليبيين، ورجوع مملكة بيت المقدس إلى ما كانت عليه قديماً قبل صلاح الدين.

ولم يضع الصالح إسماعيل وقتاً وقرناً عرض الخيانة بالعمل. فبادر إلى تسليم بيت المقدس إلى الصليبيين ومعها طبرية وعسقلان وعدد من قلاع الشام التي كانت بأيدي المسلمين، وأثار هذا التصرف الأحقق غضب المسلمين ونقمتهم في مصر والشام وسائر أنحاء العالم الإسلامي ورفضت حاميات بعض القلاع تسليم الحصون والقلاع، وهو ما دفع الصالح إسماعيل إلى القيام بحملات لتأنيب تلك الحاميات لرفضها تنفيذ أوامره، وكانت فرحة الصليبيين طاغية من هذا العمل الذي جاءهم دون أن يضرىوا فيه سيفاً أو يخسروا نفساً، وحصنوا قلعتي طبرية وعسقلان، ورابطوا ما بين يافا وعسقلان.

ضرب تحالف الخيانة:

ولكي يفري الصالح إسماعيل جموع الصليبيين على الاستمرار في التحالف وعدهم أن يعطيهم جزءاً من مصر إن ملكها: فانطلقوا إلى غزة عازمين غزو مصر، وحضر لمعاونتهم في غزو مصر جيش لصالح إسماعيل،



جيش الملك المنصور إبراهيم الأيوبي صاحب حمص، غير أن القوات الإسلامية كان لها رأي آخر غير رأي قادتها السفهاء، فانضمت إلى الجيش المصري وأبت أن تقاتل إخوانها المسلمين، وكان لهذه الخطوة أثرها: **فحلت الهزيمة بالصلبيين** حين تقابل الفريقان، وقتل منهم أعداد كبيرة وسبق الأسرى إلى **القاهرة**. واضطر الصليبيون إلى عقد الصلح مع سلطان مصر، وإن ظلت بأيديهم بيت المقدس وبعض القلاع التي تنازل عنها الصالح إسماعيل.

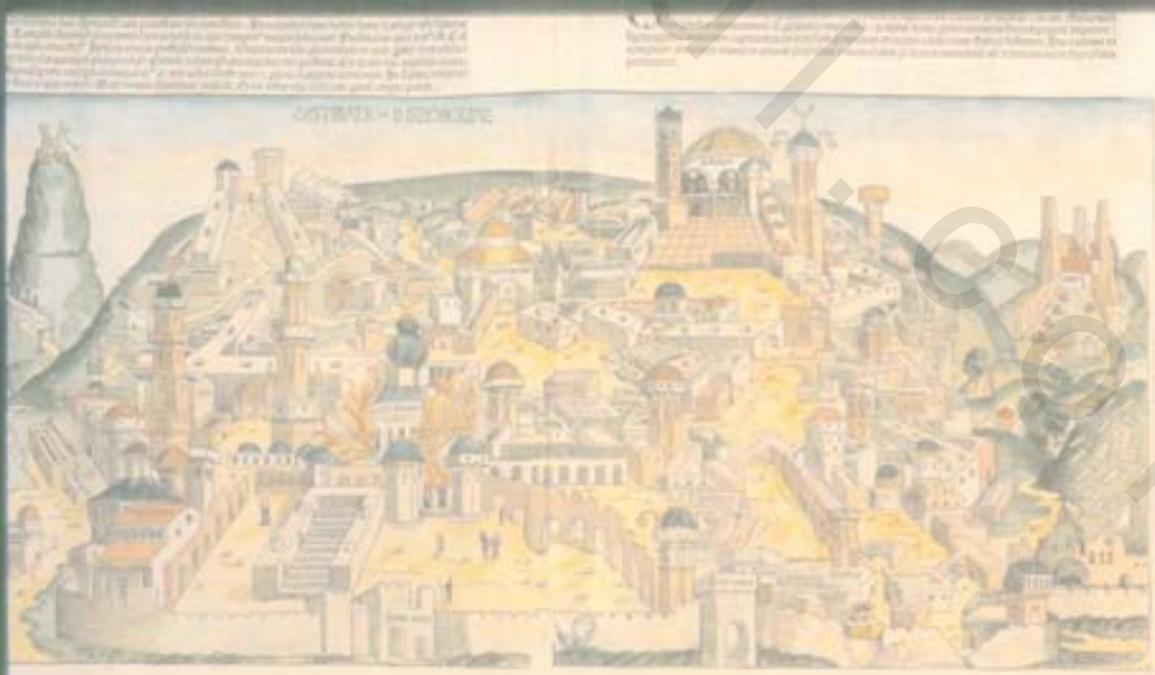
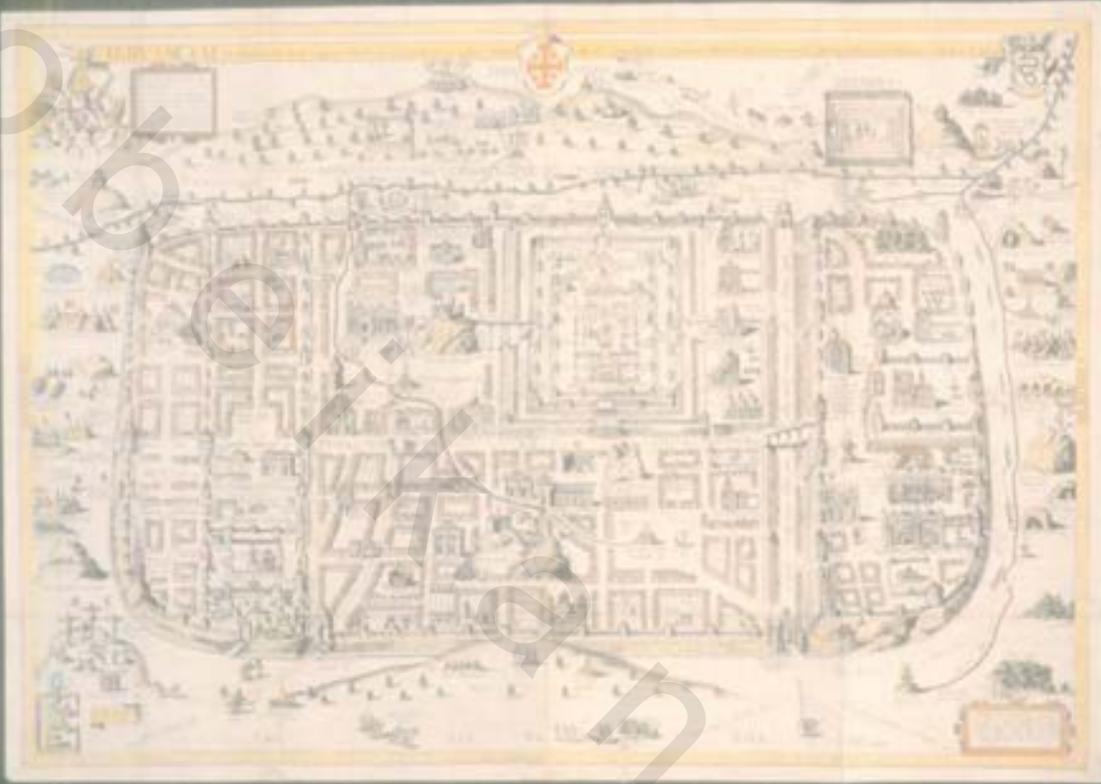
استرداد بيت المقدس:

ثم لم يلبث أن شب النزاع مرة أخرى بين الصالحين إسماعيل ونجم الدين أيوب، ووقف الناصر داود هذه المرة مع الصالح إسماعيل، واتفقا على الاستعانة بالصلبيين ضد إخوانهم المسلمين، ولم يجد الصالح أيوب قوة تقف إلى جواره غير "**الخوارزمية**" الذين تفرقت بهم السبل بعد انهيار دولتهم ومقتل سلطانهم جلال الدين خوارزم شاه، فاستجابوا لدعوته، وقدموا بأعداد كبيرة إلى الشام، واتجهوا إلى دمشق فوجدوها قوية التحصين فتركوها، واستولوا على طبرية ونابلس، وواصلوا سيرهم حتى دخلوا مدينة بيت المقدس في (٢ صفر ٦٤٢هـ = ١١ يوليو ١٢٤٤م) واستولوا عليها دون مقاومة، وكانت هذه آخر مرة يسترد فيها المسلمون بيت المقدس في عصر الحروب الصليبية، وظلت بأيدي المسلمين حتى سقطت في قبضة اليهود في **عصرنا الحديث**، وهي تنتظر الآن من يفك أسرها ويعيدها إلى حظيرة المسلمين، وندعو الله ألا يطول الانتظار ويعين من يعمل على عودتها.

حطين الثانية:

وبعد أن استرد الخوارزميون بيت المقدس واصلوا سيرهم إلى "غزة" واجتمعوا مع الجيش المصري الذي أرسله الصالح أيوب لمحاربة قوات الشام ومن ناصرها من القوات الصليبية، وتقابل الفريقان في **معركة غزة** في (جمادى الأولى ٦٤٢هـ = أكتوبر ١٢٤٤م)، وكان اللقاء رهيباً، حلت الهزيمة بالصلبيين، وقدرت خسائرهم بثلاثين ألف قتيل وثمانمائة أسير، وكانت هذه الهزيمة أضخم كارثة حلت بالصلبيين بعد معركة حطين سنة (٥٨٢هـ = ١١٨٧م)، وبلغ من أثرها أن أطلق عليها "حطين الثانية".

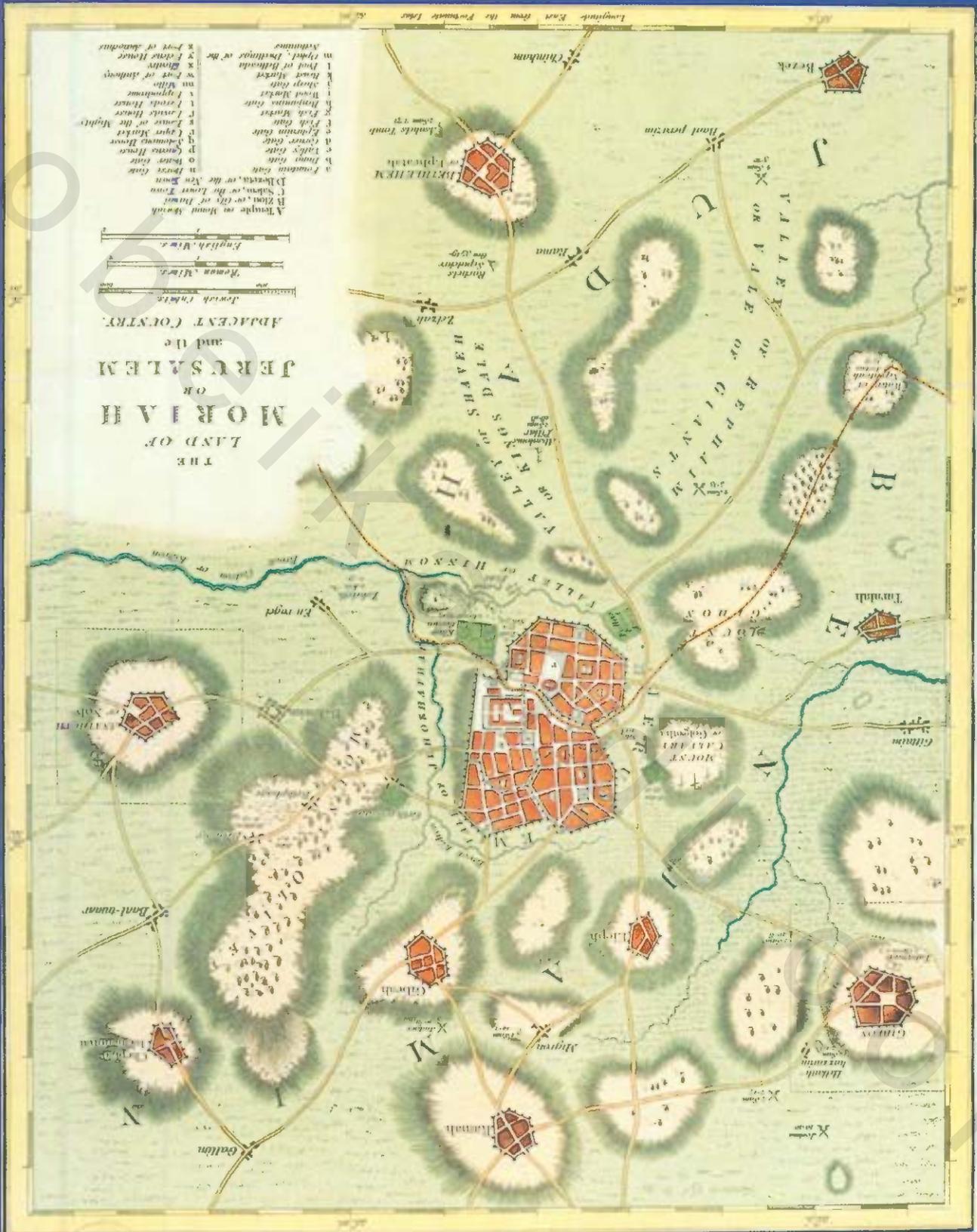
ولم يلبث أن انفصل الجيش المصري عن الخوارزميين الذين سمح لهم "الصالح أيوب" بالاستقرار في الشام على حساب الصليبيين، وواصل سيره، فأخذ القدس والخليل ودمشق وغيرها، ثم نازل الصليبيين، ونجح في استرداد قلعة طبرية (٦٤٥هـ = ١٢٤٧م)، ثم استولى على عسقلان في العام نفسه، وبذلك نجح الصالح أيوب في توحيد مصر والشام تحت سلطانه بعد أن أصبحت القاهرة ودمشق وبيت المقدس في قبضة يده، ووفد عليه في دمشق ملوك البيت الأيوبي الشام لتقديم فروض الولاء والطاعة. أحمد تمام، موقع إسلام لاين .



خرائط متنوعة عن بيت المقدس في الأطالس الأوروبية القديمة

خرائط متنوعة عن بيت المقدس في الأطالس الأوروبية القديمة

اطلس اكملات الصليبية على المشرف الإسلامي



أهم مصادر ومراجع الباب الثامن

- ١ - مجلة التاريخ العربي ، أعداد مختلفة .
- ٢ - مجلة البيان الإسلامية ، أعداد مختلفة.
- ٣ - د . مفيد الزبيدي ، موسوعة تاريخ الحروب الصليبية، دار أسمة للنشر والتوزيع، الأردن، عمّان، ط . الأولى ٢٠٠٤ م.
- ٤ - د . علي عبد الحليم محمود، الغزو الصليبي والعالم الإسلامي، دار عكاظ للطباعة والنشر .
- ٥ - موسوعة ويكيبيديا على الشبكة العنكبوتية .
- ٦ - سامي بن عبد الله المغلوث، الحملات الصليبية على المشرق الإسلامي في العصور الوسطى . دار الوراق، طبع ونشر ١٤١٩ هـ .
- ٧ - ابن تغري بردي، جمال الدين أبي المحاسن الأتابكي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة .
- ٨ - أحمد بن علي المقرئزي، السلوك لمعرفة دول الملوك .
- ٩ - موقع إسلام أون لاين على الشبكة العنكبوتية .

